

من ثـورة الإنسـان •• لنهضـة الأوطـان

الأحـد 15 رجـب 1439 الموافـق 1 أبريـل 2018

العـدد المئـــــة وثمانيـة / 3 صفحـات

Website : www.al3ahdnewspaper.com

Fb|tiwtter|Instagram : al3ahdnewspaper

حوار خـاص

في حديث خاص مع «صحيفة العهد»:

حسام شــاكر: « الخطاب الثوري ليس خطابا تعبوياً فقط بالمعنى التقليــدي، ولكنه خطاب إصلاحــيّ يصنع الحدث ويســاهم فيه»

العهد - أروى عبد العزيز

كُتبَ لثورة الحريـة والكرامة عندما انطلقـت فـي ٢٠١١م لتمـزّق ظلامـاً دامساً عاشـه السـوريون، ومُخيّماً على جميـع نواحـي الحياة، أن تمتـد لتُحطم قيود الخطـاب الإعلامي لنظام الأسـد، والـذي رزَحَ السـوريون تحـت وطـأةِ مفرداتـه الأحادية لسـنواتٍ طويلة.

وهنـا، كان لأصحـاب الميـدان خطابهـم الثـوري المتحـرّر مـن قيود الأسـد ونظامه، وهتافاتُهـم التي علّت فـي سـماء سـورية، لتعانـق أحلامهم الوليـدة مـع ولادة الثـورة المباركـة، والتـي تناقلت أخبارها وسـائل الإعلام العربيـة والأجنبية.

لكـن الميـدان الإعلامـي، كان له نصيبـه مـن الصراعات، كما هـو الحالُ فـي الميدانيـن العسـكريّ والسياسـيّ اللذيـن كان لهمـا الأثـر الكبيـر علـى الميـدان الإعلامـي وخطابـه الثوريّ.

ثـورة أم حـرب أهلية ؟! شـهداءُ أم قتلى ؟! صـراع المصطلحـات الذي امتد إلى وسـائل الإعـلام العربيـة. لتتفرّق المصطلحات وتتشـعب، متجـاوزة بذلك سـقف الواقع في الثورة السـورية.

ونحـن اليـوم فـي « صحيفـة العهـد » فقـد حاولنـا الاقتـراب مـن هـذا الميـدان منـذ أن امتـدت إليـه الثـورة، لنسـلّط الضـوء علـى أهـم المفاصـل فـي الخطـاب الإعلامـي للثـورة السـورية، والتغييـرات التـي طـرأت عليـه، بالإضافـة لمحـاور أخـرى مهمـة، وذلـك مـن خـلال حوارنـا الخـاص مـع الأسـتاذ « حسـام شـاكر» الباحـث والمؤلـف والاستشـاري الإعلامـــي.

• مفـردات الخطـاب الإعلامي فـي بدايـة الثـورة كانـت موحّـدة، ثم بدأنا نـرى تغييرات تحدث لهـا. وبالمقابل الخطاب الإعلامي لنظام الأسـد وبرغم تداخـل الميليشـيات فيه بقي محافظـاً على وحدتـه. برأيكم مـا هي أسـباب هـذا التحوّل فـي خطاب الثـورة ؟!

في الشـهور الأولى للثـورة اندفعت الجماهيـر للمـدن والبلـدات السـورية، للمطالبـة بشـعارات الحريـة والكرامة، وكانت الشـعارات الجامعة لعموم أطياف الجماهيـر هي التـي يتم التعبيـر عنها إعلامياً مـن خلال ناشـطين ميدانيين.

مع الوقت نشـأت شـبكات ونشـأت أيضـا مؤسسـات إعلاميـة ونشـأت تشـكيلات متزايدة في المشهد السياسي السـوري، وهذا بالطبـع أدّى إلى تطوير للخطـاب باتجاه تعميقـه وتفريعه ولكن مـع تراجـع وحـدة الحـال، لأن المرحلة مع اتجاههـا إلى العسـكرة التي فرضت على الثورة السـورية. انتقلـت تدريجياً مـن لحظة بـراءة الجماهيـر إلى منطق المواجهة المسـلحة.

أيضـاً بـدأت تظهـر مـع الوقـت تمايُـزات علـى الأرض، الرايات أصبحت تتعـدد، العناويـن أصبحـت تتعدد في الميـدان، وهـذا بـكل تأكيـد انعكس منطقيـاً علـى الخطـاب الإعلامـي.



حسام شـاكر
باحث ومؤلف واستشاري إعلامي

أصبحت هنـاك خطابـات وليس خطاب إعلامـي عام سـائد.

لابـد أن نلحـظ أيضـاً أن لحظـة الأمـل التـي بزغـت فـي مشـهد ٢٠١١م أخـذت تضمحـل تدريجيـاً خاصـة مـع انكفـاء الثـورات العربيـة أو الهبّـات الجماهيريـة العربيـة تدريجيـاً. كان لهـذا انعكاسـه أيضـاً. بمعنـى أن مشـهد الجماهيـر فـي الميادين وخطاباتهـا وهتافاتهـا أصبحـت تتراجـع لصالـح مشـاهد مسـلحة، وبالطبـع هـذا لـه انعكاسـه علـى الخطـاب الإعلامـي.

فـي تقديري خطـاب نظام الأسـد نفسه شـهد شـيئاً من التحوّل النسبي، لكنـه حافظ علـى مقولاته الأساسـية. ولنلحظ تمامـاً أن خطاب نظام الأسـد هو خطـاب جهة أحاديـة، بمعنى هناك وحدة توجيـه لخطاب النظـام باعتباره نظاماً شـمولياً، نظاماً يمسـك المشـهد بشـكل أحـادي، وبالمقابـل المشـهد الثـوري ليس جبهـة موحدة.

هـو أساسـاً عبـارة عـن تفاعلات موضعيـة محليـة مـن جانـب، وأيضاً متشـظية سياسـياً وميدانيـاً، بالإضافة إلـى معادلة الداخل والخـارج، هذا ينتج لنا بـكل تأكيـد تمايزات فـي الخطاب نسـبياً، بالإضافة إلـى أن خطاب النظام هو خطاب سـلطة، بينما خطـاب الثورة هـو خطـاب جماهيـر، لهم شـبكاتهم، لهم ناشـطوهم، وبالتالـي متوقع تماماً أن يكـون عندنـا تنـوّع وتعدديـة في مشـهد خطاب الثورة.

• هـل الأجنـــدات التابعـة للمؤسسـات الإعلاميـة لهـا ارتبـاط فـي اختيـار مفردات ولغـة الخطـاب الإعلامـي ؟!

هـذه إحدى تعبيرات المأزق الـذي وُجدت فيه الثورة السورية إعلامياً. ولا بـد أن ننظـر دوماً إلـى أن المعضلـة الإعلاميـة هنـا هي فرع عن المأزق العام فـي المشـهد الثـوري، وهذا المأزق يمكن أن نحـدده بحالة التشـظي الميداني، حالة التشـظي السياسـي، حالة الفجوة القائمة بيـن السياسـي والميدانـي، وبيـن الداخـل والخـارج، وغيـاب وحـدة القيـادة، غيـاب وحـدة السـيطرة، وفضـلاً عن ذلـك فقدان زمام الموقف، بمعنى أن إحدى المشكلات الجوهريـة كانـت بوضـوح وبشـكل متزايد هـي غيـاب استقلالية إدارة الموقـف، لأن التشـكيلات السـريعة التـي نشـأت كان عليهـا أن تبحـث عـن داعميـن خارجييـن وإقليمييـن، وهـؤلاء الداعمـون تمكنـوا مـن فـرض وصايـة معينـة علـى القرار، وهـذا انعكـس بوضـوح علـى استقلالية الكيانـات الثوريـة والسياسـية والميدانيـة، وأصبحنـا إزاء مشـهد مـن الصعب الحديث فيـه عـن إرادة مسـتقلة قـادرة علـى أن تملـك قرارهـا وتصنـع الحدث، ونتـاج هذا المـأزق الـذي وضعـت فيـه ثـورة الشـعب السـوري، ونتاجـه كان بـكل تأكيـد حالـة مـن الاضطـراب الإعلامـي. لا يمكـن للإعـلام هنـا أن يصلـح مـا يحـدث فـي الميـدان السياسـي...

تتمـة الحوار (صفحة ٢)

معتقـلات جماعيـة تحـت اسـم «مراكـز إيـواء»

العهد – ضياء الشامي

تحـت ضغـط القصـف الرهيـب، والأسـلحة المختلفـة الحارقـة والمتفجـرة التي هـزت أركان مدينـة دمشـق ،خـرج الآلاف من سـكان الغوطة باتجـاه المعابـر التـي فتحهـا نظـام الأسـد، في محاولـة أخيـرة للنجـاة من المـوت إلـى الموت، اسـتغلها إعلام الأسـد للترويـج لفكـرة انتصاره، وذلـك بالتركيـز على صـور المحاصريـن الهاربين من جحيـم القصف وهـم يؤدون فـروض الطاعة والـولاء هاتفيـن لـه، مؤيديـن لروايته.

ورغـم الإعـلان المتكـرر عن وصول سـكان الغوطة إلـى مناطق آمنـة، تم نقلهم إلـى مراكز إيـواء أشـبه بمعسـكرات اعتقال جماعـي مكتظة غير مخدمـة، تفتقد للخدمات الأساسـية من مرافق صحيـة، ومياه نظيفة، بعد أن منعهم نظام الأسـد مـن الدخول إلـى العاصمة وفرض عليهم شـروطاً تعجيزيـة، من أجـل الانتقـام منهـم ولابتزازهم وسـلب مابقي معهم ومع عائلاتهم مـن مدخرات.

وأشـار الناشـط مـن مدينـة دمشـق محمـد الصالحانـي فـي تصريـح خـاص لـ«صحيفـة العهـد» ، إلـى أن نظـام الأسـد جمـع آلافـاً مـن سـكان الغوطـة فـي مراكـز إيـواء غيـر مجهـزة فـي كل مـن عـدرا وجسـر بغـداد وحرجلـة وصالـة الفيحـاء ومـدارس عـدرا البلـد، دون أن يقـدم لهـم أي خدمـات صحيـة أو طبيـة أو غذائيـة، بـل منـع العديـد مـن المنظمـات المدنيـة التـي كانـت تتجهـز لتقديـم الخدمـات لهـم مـن الدخـول إلـى تلـك المراكـز أو تقديـم أي مسـاعدات حتـى الـ٢٠ مـن شـهر آذار بحجـة تنظيـم العمـل، حيـث سـمح فقـط لمنظمـة الهـلال الأحمـر والصليـب الأحمـر بالدخـول والمسـاعدة بنقـل المهجريـن وتقديـر أعدادهـم.

وأكـد الصالحاني أن الجمعية الوحيدة الرسـمية التي تعمل فـي مراكز الإيواء هي الأمانة السـورية للتنميـة التي تتبـع إدارتها لأسـماء الأسـد والتي مهمتهـا متابعة بعض الأمـور القانونيـة المتعلقة بتسـجيل المواليـد وطلبـات الحصول علـى دفتر العائلـة، وتوثيـق الـزواج، دون أي متطلبـات أو وثائق شـخصية أو حتى شـهود.

وقـال الصالحانـي: **«الوضـع الإنسـاني في مراكـز الإيواء كارثـي والاحتياجـات أكبر من كل ما تملكـه الجمعيات ومـا يتبرع بـه المواطنون، فنظـراً للضغط الكبيـر لا تسـتطيع المنظمات أن تقـدم أكثر مـن وجبة يوميـاً للشـخص الواحد، أغلب الأطفـال يعانون من سـوء التغذية، كما أن وضع الأطفال محزن للغايـة. فالكثير منهم يتعرف على أشـكال بعض الفواكه للمـرة الأولى، وبعض الأطفال أكل الموز بقشـره، وبعضهم رأى البرتقال لأول مـرة، فيمـا تعجـب البقية من لـون وطعم الخبز الأبيـض، فقد اعتـادوا على خبز الشـعير».**

ويتابـع الصالحانـي: **«وضع العجائـز والمرضى صعـب جـداً، لاتوجـد رعايـة طبيـة، وخاصـة أن أغلـب المهجريـن يحملـون العديـد مـن الأمـراض وخاصـة الأمـراض الجلديـة التـي نتجـت عـن مكوثهـم فـي الملاجـئ الرطبـة لأكثـر مـن ٣٥ يومـاً دون وجـود ميـاه نظيفـة أو صـرف صحـي جيـد أو فرصـة لتبديـل الملابـس أو الاسـتحمام، هنـاك الكثيـر مـن حـالات التهـاب الكبـد مـن نـوع c، والعديـد مـن الجرحـى الذيـن يحتاجـون إلـى متابعـة وعـلاج».**

هكـذا ينتقـم نظـام الأسـد مـن سـكان الغوطة

وتشـير الكثير مـن الأخبار الواردة من دمشـق إلـى أن أغلـب المتواجديـن فـي مراكـز الايـواء ممنوعـون مـن الخـروج، حيـث صـدرت بعض الشـروط الخاصة التي تسـمح للأسـر المكونة من النساء والأطفال دون سـن الخامسة عشرة بمغادرة مراكـز الإيـواء فـي حال وجـود كفيل من سـكان دمشـق، في حين يمنع على كل الذكور فوق سـن ١٥ مـن المغادرة سـواء قاموا بتسـوية أوضاعهم أم لا، كمـا تـواردت أنبـاء عن اعتقـال العديد من الشـباب والرجـال بين عمـر ١٨-٥٠ عامـاً بحجة التحقيقـات الأمنية ، في حين أظهرت صور نشـرتها مواقـع مواليـة للأسـد احتجاز عشـرات الشـباب ضمـن مراكز خاصـة يشـرف عليها جنـود روس.

ويذكر أن ممثل أنشـطة الأمـم المتحدة في سـوريا علي الزعتري صرح قبل أيـام أن الوضع مأسـاوي في مراكز الإيواء، مشـيراً إلى أن الناس هربـوا مـن قتـال وخوف وعـدم أمـن، لكنهم وجدوا أنفسـهم فـي مكان لا يجـدون فيه مكاناً للاسـتحمام، ورأى الزعتري أن الحـل الوحيد هو تفريغ هـذه الملاجئ من السـكان بأسـرع وقت ممكـن و إبقاء السـكان داخل الغوطة الشـرقية، معتبـراً أن إيصـال المسـاعدات للمدنييـن في منازلهـم أسـهل مـن الإتيـان بهم إلـى هذه الأماكـن العامة.

تتمة الحوار الخـاص

حسـام شـاكر: «الخطـاب الثوري ليـس خطابـاً تعبوياً فقـط بالمعنـى التقليدي، ولكنه خطـاب إصلاحيّ يصنـع الحدث ويسـاهم فيه»

جانب من التظاهرات خلال الثورة السورية

... تقديري أن الإعلام الثوري لم يكن يقظاً في الوقت المناسب في التعامل مع الحالات التي اضطر لاحقاً لمواجهتها. بمعنى حالة تنظيم الدولة كمثال في بواكيرها مثلا. بعض التشكيلات، بعض الاتجاهات التي نشأت في المشهد الميداني. وغير ذلك من الحالات التي لم يتم التعامل معها، كانت هناك ثقافة بأنه ينبغي عدم فتح ملفات كهذه لكن فيما بعد حصل اندفاع متأخر لتناول هذ الملفات دفعة واحدة بعد أن كان الوقت قد مضى.

هذا مثال للمأزق، بمعنى التصوّر أنه بالإمكان تجاوز بعض الأخطاء هنا وهنالك، وغض الطرف عنها. في تقديري كان إشكالاً بحد ذاته أورث المشهد عموماً عدم قدرة على التطهير الذاتي، وأدى إلى تشجيع ممارسات مارقة من الالتزام الثوري، من الالتزام القيمي، والمبدئي وأيضاً مشاهد وأوضاع لم تكن ترقى لتضحيات الشعب وثورته.

• هناك وسائل إعلام عربية حتى اليوم تعطي الشرعية للأسد بتسميته «الرئيس السوري». وتطلق على الثورة السورية اسم «صراع أو أزمة أو حتى حرب أهلية». برأيكم هل من الصحيح فرض لغة ومفردات إعلامية للثورة السورية على الإعلام العربي أم لا ؟!

من المهم أن نلحظ بأن وسائل الإعلام ليست على حالة واحدة، هناك اتجاهات وخط تحريري لكل منها، هناك خط عام للدول الراعية لنقل لوسائل الإعلام المتعددة هنا. إنما لابد أن نلحظ بأن هناك تراجعاً عن المفردات التي تم اعتمادها حتى في وسائل الإعلام، بدت داعمة للثورة السورية في السنوات الأولى، هذا التراجع هو فرع عن موقف سياسي ونظرة لتطورات الأحداث.

وفكرة فرض المفردات على وسائل الإعلام ليست واردة. بمعنى أن المفردات تنتقى بعناية ضمن دليل استخدامي لكل جهة إعلامية من الصعب الحديث عن فرض مثل هذا، لكن المؤكد أنه ضمن الخط التحريري لكل وسيلة إعلام هناك فرض لمعايير ضمنا، ومصطلحات ومفردات تعبر بحد ذاتها عن اصطفاف، عن موقف، عن منظور في تناول القضية، ربما عن محاولة للحياد إن جاز التعبير، ومحاولة الحياد هنا قد تعني موقفاً سلبياً فيما يتعلق بالمشهد الثوري.

أعتقد أن الأخطر فيما جرى ويجري انطفاء صورة اللحظة الثورية من المشهد السوري، تحوّله في التناول الإخباري والإعلامي إلى أنه حرب أهلية أو صراع داخلي، وهذه الصورة التي تستند إلى معطيات ميدانية. بمعنى أن استمرار مواجهات ذات طابع مسلح في بلد ما، سنة بعد سنة، يغلّب مع الوقت النظر إليها أنها حرب أهلية. نحن نعلم أن نظرة الحرب الأهلية ليست لفظة محايدة هنا، ليست معبرة عن مشهد ثوري، لكن في الوقت ذاته نعلم أن اللحظة الثورية ذاتها مع الوقت تكون قد بدأت تعيد إنتاج ذاتها إلى تشكيلات متمترسة بمواقع بعناوين بلافتات. فتطغو اللحظة الثورية ربما لصالح مواجهات ربما لا تكون لها مشروع. والأخطر هنا ألا يلاحظ أن هناك مشروعاً للثورة. بمعنى اللافتات التي تمسك اليوم الميدان بمساحات واسعة لم تقدم للشعب السوري اليوم مشروع الثورة كما كان ابتداء، وهذا له انعكاس على نظرة المتناولين للملف. اليوم لو حاولنا أن نرصد خطاب التشكيلات الميدانية المسلحة الأساسية، لو حيّدنا الجيش السوري الحر هنا وحضرنا بالعناوين الموجودة سنلحظ أن الخطاب ليس هو متطابقاً مع خطاب المشهد الثوري الأول الابتدائي. أصبحنا إزاء خطابات متعددة، ملتبسة، وأيضاً دخلت فيها أجندات ليست ملتزمة بالموقف الشعبي الثوري كما نشأ وكما تطور في بواكيره على الأقل.

• ما هو الخط الفاصل بين الخطاب الإعلامي الموضوعي، والثوري ؟!

الموضوعية هي إشكالية ابتداء. بمعنى أن الموضوعية تبقى نسبية، والتحيزات كامنة وقائمة وملحوظة حتى ضمن مساحات الإعلام الموضوعي والذي يفترض أنها ليست أبواق دعاية. لكننا اليوم نتحدث عن إعلام يغطي تحيزات واضحة بمفردات تتبدل من حين لآخر ضمن عباءة الموضوعية المرفوعة. واعتقد هنا أن الموضوعية متراجعة في العالم العربي لحد كبير إعلامياً خاصة منذ ٢٠١١م.

لكن فيما يتعلق بالخطاب الثوري، هنا إعلام الأدوات المباشرة للثورة، إعلام مواقع التواصل الاجتماعي، إعلام الفصائل، ينبغي أن يحافظ على خطابه، الخطاب الذي ينطلق من رؤاه الخاصة.

عندما تريد الأطر والتشكيلات والناشطين يريدون أن يتابعوا أخبارهم وتقاريرهم كما يتم تناولها إعلامياً، سوف يتوقعون أو عليهم أن يتوقعوا إعادة إنتاج مقولاتهم بطريقة تبدو أقرب للتناول الإخباري، الذي يترك مسافة بين الخطاب ومفرداته. كما تنطلق من مصادرها الثورية أو كما يتم تناولها إخبارياً. تبقى هناك مسافة، وهذه مسافة موضوعية ولو كانت مزعومة. إنما لا بد في حالة شعب يضحي ويقدم، لا بد أن يكون الخطاب المعبر عن الالتزام الثوري حاضراً ودون تراجع.

لا بد أن ندرك أن الخطاب الثوري عليه أن يكون يقظاً. ليس خطاب دعاية سطحية، وليس خطاب تعبأة نمطي، كما كان عليه الحال منذ عقود مضت. نحن نتحدث عن خطاب يقظ، خطاب يعالج الإشكالات، خطاب إصلاحي أيضاً، تطهيري في الداخل. خطاب يستطيع أن يرصد الظواهر المقيتة التي من المكن أن تنشأ في مجتمع ثوري وفي أي ميدان. وفي أي حالة سياسية. ويتصدر لها خطاب مشتبك مع الحالات والظواهر الخطرة أو السلبية. وخطاب أيضاً يرقى بالوعي العام، بمعنى خطاب توعوي.

إعادة إنتاج الخطاب بشكل يستحضر الدروس والعبر من سبع سنوات مضت فيها مخاضات أليمة. هنا لابد أن يكون للإعلام دوره. وبالتالي الإعلام لا يصح أن يكون هنا مقطورة. بل أن يكون رائداً ودافعا وطليعياً، لكي يُعيد تقييم الحالة أولاً بأول. ولكي أيضاً يصل إلى توافقات.

> هناك تراجعاً عن المفردات التي تم اعتمادها حتى في وسائل الإعلام، بدت داعمة للثورة السورية في السنوات الأولى، هذا التراجع هو فرع عن موقف سياسي ونظرة لتطورات الأحداث.

نحن بحاجة إلى التزام ومسؤولية، وهنا الخطاب الثوري ليس خطاباً تعبوياً فقط بالمعنى التقليدي، ولكنه خطاب بنّاء وإصلاحي، وخطاب أيضاً يصنع الحدث ويساهم فيه.

• استطاع إعلام الثورة على مدى سبع سنوات تغيير مفردات الخطاب الإعلامي لنظام الأسد. هل ترون أن هناك « صراع إعلامي» بين مؤسسات الثورة والإعلام العربي حول الإقرار بالمفردات الإعلامية للثورة ؟!

بالطبع هناك صراع إعلامي، لكن الأهم في هذا تحويل الإشكال، وإعادة فهم المعضلة في سورية بأنها معضلة استبداد. لكي تصبح معضلة تشكيلات مسلحة، وهنا التحدّي الكبير. وفي تقديري هذا جاء في صميم الاشتباك الإعلامي بين مدرسة النظام وغير ذلك.

وهنا تحديداً المفصل، بأنه تم بالفعل في بعض وسائل الإعلام العربية التبني النسبي لفكرة أن المشكلة هي فصائل وجماعات مسلحة. وهنا نعود مرة ثانية لفكرة أن إدارة المشهد السياسي والميداني، كان لها تأثير مباشر على التناول الإعلامي وتفاعلاته اللاحقة.

لكن لا بد أن نكون واضحين بأن غياب القرار السياسي الموحّد لاعتبارات مفهومة تماماً، وتشظي الميدان وافتراقه، ميدان الثورة من حيث التشكيلات والفصائل، سمح للخطاب الآخر أو خطاب نظام الأسد أن يتمدد،. وأضعف الثقة إعلامياً بمشروع الثورة وبحضورها. وأتصور أن هذا ينبغي أن يُعترف به.

• بإتمام الثورة السورية سبع سنوات. من انتصر في الحرب الإعلامية برأيكم ..الثوّار أم النظام وحلفائه ؟!

من الصعب الحديث عن طرف منتصر هنا، لكن المسألة تُقاس نسبياً، بمعنى لا يمكن أن ينتصر من سحق الأطفال ودمّر المدن والبلدات بالشكل المرعب والبشع على مرأى ومسمع من العالم، لا يمكن أن يكون هو المنتصر في هذه الجولة.

ولكنه بالقياس إلى برنامجه هو، فإنه أنجز بمنظوره وحقق ما كان يصبو إليه. وأن كل من سقطوا تم إخراجهم عن التعريف. بمعنى نلحظ الحديث عن إرهابيين وعائلاتهم، وليس الحديث عن شعب.

هنا في خطاب نظام الأسد، يتم إخراج الشعب من مفهوم الشعب ذاته. وأيضا يتم نزع الصفة الإنسانية عنهم. لأن لفظة الإرهابيين تعني هي رأس الشرور في عالمنا اليوم وتبيح اقتراف الفضائح بحق من تُلصق به. بمنطقهِ هو فقد انتصر إعلاميا، ولكن بالمنطق الموضوعي ليس هناك منتصر في المشهد حتى الآن. وفي تقديري إن جاز لنا أن نقول: أين هي المعادلة الغائبة في المشهد السوري ؟! هي معادلة الخذلان.

الشعب السوري تم خذلانه بشكل مؤكد ولم يتم حتى الآن إبراز هذه الحقيقة بأنه خذل وتُرك وحيداً، وكان لهذا تأثيره في السياسة والميدان، وتأثيره في الإعلام أيضاً.

حتى هذه اللحظة لا يوجد تناولٌ إعلامي كافٍ لبيان حقيقة ما وقع على الشعب السوري من المظالم. والخذلان هو عاملٌ أساسي جداً في صناعة هذا المشهد.

لكن أيضاً لا بد أن نلحظ أن الإدارة الإعلامية للثورة السورية في محطاتها المتعددة، كانت إدارة تلحقُ الأحداث غالباً ولا تستبقها.

الصناعة الإعلامية ذاتها لم تكن صناعة مستقلة عن القاع السياسي والميداني المتشظّي في أساسه، وكان متأرجحاً وفق معطيات السياسة والميدان، وبالتالي جاء الأداء الإعلامي مترتباً على هذه الحال السياسية والإعلامية.

طبعاً هناك ملمح لا بد أن نلحظه، وهو أنه نبرة النقد اللاذع أصبحت واضحة في المشهد العام السوري في مواقع التواصل الاجتماعي. وهي الميدان الأهم هنا في هذا المضمار.

هناك نبرة نقد لاذعة تتصيد لنقل أو تطارد بعض المواقف والتصريحات هنا أو هناك، وحينها تنشأ موجات من النقد والنقمة على سياسي أو تصريح هنا أو صورة هناك. هذه الحالة التي بدأت تبرز في آخر سنتين بشكل واضح في المشهد السوري، هي تعبير عن حالة تفريغ لشحنة ما موجودة في المشهد الشعبي. والبحث عن فريسة يتم تفريغ الإحباطات الجماعية فيها، بحيث يتصور المرء أن هذا الموقف هو المشكلة التي تسبب بكل خسائرنا.

أعتقد أن الإعلام لم يكن قائماً بدوره كما ينبغي في تناول المشهد، بالعكس كثيراً من صانعي الإعلام كانوا ينساقون في جولة تسخين، بمعنى أنهم يلحقون الجماهير ويتملّقون روح النقمة القائمة، فينخرطون لكسب الهجمات في مواقع التواصل الاجتماعي في المزايدة على تصريحات وتعبيرات تبدو لي متشنجة، بدل أن يكون لهم دورٌ رياديّ في التوعية، والارتقاء في الوعي العام، وهذا إشكال لا بد أن يُعترف به.

العهد

العدد المئـة وثمانية
الأحد 15 رجب 1439 الموافق 1 أبريل 2018
3 صفحات

يـا علمـاء الإسـلام

عندمـا أريـد أن أخاطـب علمـاء الإسـلام أواجِـهُ إشـكالاً فـي تحديد مفهـوم «العلمـاء»!. فهـل علمـاء الإسـلام هم خطباء المساجد، أم حَمَلَةُ شـهادات المعاهـد الشـرعية وكليات الشـريعة، أم هـم أسـاتذة كليـات الشـريعة؟ أم هـم المعروفـون بيـن الناس بأنهم شـيوخ وعلمـاء؟! وأيّاً ما اخترنـا من تعريف فسـنجد عليه قيوداً واسـتدراكات، ونجـد له اسـتثناءات.

وتسـهيلاً للأمـر سـنَعُدُّ كلَّ مَـن يُعرَف بيـن الناس أنه شـيخ أو عالم، مقصـوداً فـي الخطـاب. وأرى مـن المناسـب أن نُلحِـقَ بهم فئة ليسـت منهـم وإنمـا يجمعهـا بهـم العلـم بالشـريعة، علـى نحـو مـن الأنحاء، مثلمـا عـرّف علمـاء الحديث السـنّةَ بأنهـا: كل ما أضيف إلـى النبي صلى الله عليـه وسـلم مـن قـول أو فعل أو تقريـر أو صفـة، ثـم ألحقـوا بها الموقـوف والمقطوع، وهمـا من قول الصحابـي وفعلـه، وقـول التابعـي، وهذان ليسـا مما أضيـف للنبي صلى الله عليه وسـلم.

وعليـه فسأقسـم العلمـاء إلـى ثـلاث فئات، ثـم فئـة ملحَقَـةٍ بهم:

الفئـة الأولـى: وهـي تشـمل معظـم العلماء، وتضمّ مَـن كان زاده من العلـم وافراً، وغلـب عليه الصلاح والاسـتقامة، وعنده درجـة من الوعي والجـرأة في قـول الحق.

والفئـة الثانية: وهي تشـبه الفئة الأولـى في كثيـر من الصفـات، لكنها تُؤْثر السـلامة فتسـكت عمـا يُغضب السـلطان وأصحاب النفـوذ، وتكتفي بالمواعـظ الحسـنة، وبيـان مزايـا هـذا الديـن وبعـض أحكامـه، وكثيرٍ مـن الرقائـق ووجـوه إعجـاز القرآن وبلاغتـه... لكنها لا تصـل إلى درجة التملّـق والمداهنـة والنفاق.

والفئـة الثالثة: وهـي فئة ضئيلة العـدد، عظيمة الضـرر والفتنة، باعت دينهـا بعَـرَضٍ مـن الدنيـا، ورضيتْ لنفسـها أن تكـون مطيّـة للظالمين، تُزيّـن أعمالَهـم، وتلتمـس الحجـج الشـرعية لمظالمهم، وتصف المؤمنين الذيـن يقارعون الظلـم بأنهم بغاة أو خوارج أو أعداء للوطـن، وأن جباههم لـم تعرف السـجود لله!.

وأفراد هذه الفئة مرشّـحون، أكثر مـن غيرهـم، لشَـغْل منصـب وزير الأوقـاف أو مفتـي الجمهوريـة... أو لتقديـم حلقـات تلفزيونية.

والفئـة الرابعـة: وهـي الملحقة بعلماء الإسـلام. إنها تضمّ متخصصين ببعـض العلوم الشـرعية، ويسـخّرون علمهـم فـي الطعـن بالإسـلام، والتشـكيك فـي السـنّة النبوية وفي صلاح هـذا الديـن لحكم الحيـاة في القـرن العشـرين أو القـرن الحـادي والعشـرين... وهـؤلاء «العلماء» ممن لا يصلّـون ولا يصومـون، ويأخـذون «أجرهـم» مـن بعـض الدوائـر الاسـتخباراتية، وقـد يتربّعـون على كراسـيّ علميـة، يُشـرِفون بهـا على منح شـهادات الماجسـتير والدكتوراة في بعـض العلـوم الشـرعية.

بـل لا يَبْعُـدُ أن نَعُـدَّ مـن هؤلاء بعضَ المستشـرقين ممن لا ينتسـب إلى الإسـلام، ولو فـي الظاهر، بل قد يتحلّى بعض المستشـرقين بالإنصاف، ممـا لا يتمتّـع به أفـراد هـذه الفئة.

* * *

وغنـيّ عن البيـان أن أفـراد كل فئـة من الفئات يتفاوتـون في درجات العلـم والجـرأة والنزاهـة والفصاحـة والبيـان... وأن هـذا التقسـيم ليـس حدّيّاً، فقد تجـد عالماً من إحدى الفئات وفيه بعـض صفات علمـاء فئة أخرى.

* * *

والآن أبـدأ بخطـاب علمـاء الفئة الأولـى، فهـم الأكثـر عـدداً، والأكثر قَبـولاً عند عموم النـاس، وهم الذين نحسَـبُ أنهم الأقرب إلـى الله تعالى.

يـا علمـاء الإسـلام، أنتـم أمل الأمـة، وحاملو لواء العلـم فيها، فاتقوا الله فيمـا حمّلكـم مـن أمانـة. ولعلّ أهمّ مـا ينبغـي أن تحرِصـوا عليه:

- أن تراقبـوا الله تعالـى فيمـا تقولـون، وفيمـا تفعلـون، وفيمـا تدْعـون إليـه، وفيمـا تَدَعـون.

- أن تكونـوا مُثُـلاً فـي التـزام أحـكام الإسـلام، بقدر اسـتطاعتكم، في سـلوككم وفـي سـلوك أهليكم، فالنـاس لكـم تبـعٌ في ذلـك، وأنتم فـي نظرهم حجة للإسـلام إن اتّقيتم الله، وحجّـة عليـه إن خالفتموهم إلى مـا تنهونهـم عنه، وكمـا قيل:

يا رجـال الدين يـا ملـح البلد ما
يُصلـحُ الملحَ إذا الملحُ فَسَـد؟

- أن تبذلـوا جهدكـم فـي نشـر الإسـلام وعلومه، وفق مـا كان عليه جمهور علمـاء الأمة في مختلف أجيالها، مـع تجنّب أسـباب الشـقاق والخلاف، سـواء فـي فـروع العقيـدة أو فـي فـروع الفقه، فليـس من الخيـر إثارة



أ. محمد عادل فـارس

النعرات في المسـائل الخلافية. وليكن شـعاركم: نتعـاون فيما اتفقنـا عليه، ويعـذر بعضنـا بعضـاً فيمـا اختلفنا فيـه. ولنتذكـر كلمة الإمام الشـافعي لتلميـذه يونـس بـن عبـد الأعلـي: ألا يصـحّ أن نختلـف ونبقـى إخواناً؟.

- أن تحصّنـوا شـباب الأمـة من الغلوّ ومـن القصور، فـي الفكر وفي السلوك .

- أن تقولـوا الحـق وتأمـروا بالمعـروف وتنهوا عـن المنكر، وتراعوا فـي ذلك الأهمّ فالأهـمّ، وتَغضبوا لله بقـدر ما تـرون الفعـل أشـد إغضاباً لله. ولسـتُ أطلب أن يكون كل منكم كسـعيد بـن جبيـر وأحمد بـن حنبل والعز بن عبد السـلام وسـيّد قطب... ولكن، كمـا تعلمنـا منكم:

إن لـم تكونـوا مثلهم فتشـبَّهوا
إن التشـبّه بالكـرامِ فلاحُ

* * *

وندائـي إلـى علمـاء الفئـة الثانيـة: أتـرون يـا سادتي أن الحديث عـن حبّ الله تعالـى، وعـن الخشـوع فـي الصـلاة يُعفيكـم مـن تحذيـر الأمـة مـن كبائـر الإثـم والفواحـش؟ أم تحسَـبون أن إشـاعة الكبائـر فـي المجتمـع وحمايتهـا وتقنينهـا ونشـر ثقافـة تروّجهـا كالرّبـا والخمـر والميسـر والزّنـى... وتنحيـة شـريعة الله عـن حكـم المجتمـع... هـي أمـور ثانويـة لا تسـتحق منكـم البيـان والتحذيـر؟ ألـم تقـرؤوا قـول ربنـا سـبحانه: (إنّ الذيـن يكتمـون مـا أنزلنـا مـن البيّنـات والهـدى مـن بعـد مـا بيّنـاه للنـاسِ فـي الكتـابِ أولئـكَ يلعنهـم الله ويلعنهـم اللاعنـون، إلا الذيـن تابـوا وأصلحـوا وبيّنـوا، فأولئـك أتـوب عليهـم، وأنـا التـواب الرحيـم). {سـورة البقـرة: ١٥٩ و١٦٠}.

ولعـلّ بعضكـم يثـور ويتعصب ويجهد فـي إيـراد الأدلّة علـى جواز، أو علـى منـع، الاحتفـال بالمولـد النبـويّ، وعلـى مشـروعية المسـح علـى الجوربين، وعلى جمـع الصلوات بعـذر المطـر، أو على عدم جـواز هذا أو ذاك... لكنـه يسـكت عـن محاربة الدعـاة إلـى الله، وعـن سـجنهم أو تشـريدهم، وعـن قصـف الآمنيـن بالبراميل المتفجّـرة والقنابل الحارقة... لأن الحديـث فـي هذه الشـؤون وفي إشـاعة الكبائـر التـي ذكرناهـا قبل قليل، هو من السياسـة التـي لا يليق بعالـم الديـن أن يتدخّـل بها؟!.

* * *

وندائـي إلى الفئـة الثالثة: أيكون إرضـاء الحاكـم عندكـم أهـمُّ مـن إرضـاء الله؟!. بـل أتجـوِّزون إرضاءه بسـخط الله؟. لقـد كان علمـاء الأمة يحـذّرون من التقـرّب إلى السـلطان، حين كان السـلطان كهارون الرشـيد، فكيف إذا كان السـلطان لا يحتكم إلى شـرع الله؟!. وما أجمل مـا كتب الإمام عبـد الله بـن المبارك لإسـماعيل بن عُلَيّـة، حين وَلِـيَ ابن عُليّـة القضاء؟ كتب لـه أبياتـاً فيها:

يـا جـاعـل العلـم له بـازيـاً
يصطـاد أمـوال المسـاكينِ

أيـن روايـاتـك في سـرْدهـا
لتـركِ أبـواب السـلاطيـن

إنِ قلـتَ: أُكْرِهـتُ فهـذا باطـل
زَلَّ حمـارُ العلـم فـي الطيـن

* * *

وندائي إلـى الفئتين معـاً الثالثة والرابعة (الملحقـة بالعلماء):

أدعوكـم إلـى مراجعـة مـا أنتـم عليـه، والعـودة إلـى الله تعالـى، وإلـى التوبـة وبيـان الحـق، وأن تذكـروا أنكـم واقفـون يومـاً بيـن يـدي الله، يـوم لا ينفعكـم سـلاطينكم، يـوم تقولـون لهـم: (إنّـا كنّـا لكـم تَبَعـاً فهـل أنتـم مُغْنـون عنّـا مـن عـذاب الله مـن شـيء؟).

وإنكـم قـد علمتم من الإسـلام مـا تقـوم بـه الحجّـة عليكـم، فهلّا اهتديتـم؟ وهـلّا عملتم بمـا علمتم؟ نسـأل الله الهدايـة لنـا ولكم.

كاريكـاتير عالـمي
رسم موفق قات

أوهام انتصار الأسد الهزيل
بعضلات سـيّده بوتيـن

عـن الصحـيفة

صحيفة رسـمية تصدر عن المكتب الإعلامي لجماعة الإخـوان المسلـمين

دار العهد للنشـر والتوزيع

هيئـة التحـرير

تواصل معنا


www.al3ahdnewspaper.com


info@al3ahdnewspaper.com

al3ahdnewspaper